بسم الله الرحمن الرحيم

كلُ المسلمينَ يَحفظونَ مِنْ سِيْرةِ نبيهم عليهِ الصلاةُ والسلامُ أنَّهُ لما وَصَلَ إلى (قُبَاء) في طريقه إلى المدينةِ أَسَّسَ فيها أول مسجد بني في الإسلام، وبعد أن أقام فيها أياماً سار إلى المدينةِ، فأدركتْه صلاةُ الجمعة في بني سالم بن عوف، فبنى مسجداً هناك، حيث أقام أول جمعة في الإسلام، ثم واصل سيرَهُ إلى المدينة فلما وصلها كان أول عمل يقوم به هو بناء مسجده صلى الله عليه وسلم بل شارك فيه بنفسه فكان ينقل اللبِن ترغيبًا للمسلمين وشدا من عزيمتهم

وما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا لعلمه بأهمية المسجد وأثره في الأمة فبالمسجد يرتبط العبد بخالقة سبحانه ، وبالمسجد يتعارف المسلمون وتزداد الألفة فيه فيما بينهم وتتعمق روابط الأخوة الإسلامية التي تعلوا وتشرف فوق كل رابطة قبلية أو عرقية أو قومية

فالمسجد هو المرتكز الذي تنطلق منه الدعوة، وهو مهبط الرحمات وبه تنزل وتهبط الملائكة الكرام، ويكفي المساجد فخرا أن نسبها الله إليه فهي بيت الله في أرضه قال تعالى :{إنما يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِّ مَنْ آمَنَ بِاللهِّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللهَّ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنْ الْمُهْتَدِينَ}، قال الإمام القرطبي رحمه الله: قوله {إنما يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِّ} دليل على أن الشهادة لعمّار المساجد بالإيمان صحيحة ، فالله جعل من علامات صدق الإيمان والبراهين عليه عمارة المساجد ومعنى يعمر هنا يحتمل أمران:

1-عمارتها بالمحافظة على الصلاة فيها.

2-بناؤها أو المشاركة في بنائها وقد بشر الرسول صلى الله عليه وسلم من وفقه الله لبنائها بالجنة فقال ((مَنْ بنى مَسْجِدًا للهِّ كَمَفْحَصِ قطاةٍ أَوْ أَصْغَرَ بنا اللهُّ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ)) وفي رواية ((قصرا في الجنة))، هذا فقط مقابل البناء، غير أجر الصلاة فيه وما يقام فيه من خير كل ذلك في ميزان حسناتك، مساجد له عشرات السنين وأجر من شارك بفلس وحسب مقدرته عداد حسناته لن يتوقف إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فما بالك بمساجد لها مئات السنين، وما ظنك بمسجد له أكثر من ألف سنة وكل من شارك في بنائه وهو موسد في قبره مازالت الحسنات تسطر في كتابه، ونهر الحسنات مازال جارياً.

نعم من بنى مسجداً لله فإنه من المبشرين بالجنة، يقول عليه الصلاة والسلام: ((من بنى لله مسجداً يبتغي به وجه الله، بنى الله له به بيتاً في الجنة))، قال العلماء: لا يمكن أن يبني الله لك بيتاً في الجنة ويدخلك النار، فمعنى أن يبنى لك بيتاً في الجنة دخول الجنة، وإلا ما قيمة بيت وأنت لا تسكنه؟ وما معنى بناء بيت لك لا تدخله؟! فقال العلماء: إن هذا من المبشرات بالجنة، لكن بشرط: (يبتغي به وجه الله)، قال العلماء: هذا قيد يخرج به من يبني مسجداً للرياء أو للضرار أو للمباهاة، لأن هذا لم يُبن لله؛ ولكن من بنى مسجداً خالصاً لوجه الله يبتغي به ما عند الله، بنى الله له به بيتاً في الجنة.

أيها الأخ لربما تبني بيتاً ولا تدري لعلك لا تسكنه أو لربما تسكن فيه زمناً قصيراً ثم تصير إلى بيت من تراب، فهنيئاً لمن عقل عن الله وساهم في بناء مسجد ولو بسنت واحد، فلربما بعمل يسير بسيط تعظمه النية عند الله تعالى، فلربما خمس يورو تدفعها تقول يا رب هذه مقدرتي تكون ثمن قصر لك في جوار الرحمن.

وإياك أن تقول أن أوفر لأجل أولادي، فوالله الذي لا إله إلا هو أولادك سيبخلون بالمال لأجل أولادهم وزوجاتهم، كما بخلت أنت بالمال لأجلهم لن يذكروك كما أنت نسيت والديك بالتبرع عنهم والتصدق باليسير عنهم.

يوجد مسجد اسمه ((مسجد حبات العنب))، وقصة هذا المسجد أن رجلا غنياً أرسل لمنزله مع عامل عنده عنباً من نوع فاخر فلما رجع إلى المنزل طلب من زوجته أن تضع له بعض حبات العنب فأخبرته أن انه لم يبق منها شيئاً أكل كله، فقال لم يذكرون بحبة عنب ، فخرج من فوره واشترى أرضا وجعلها وقفاً لله ودعا ببناء ليبني عليها مسجدا اسمه مسجد حبات العنب، وتذكر قوله تعالى: {وما تقدموا لأنفسكم هو خيراً ....}[المزمل]

ذكر علماء السير والتراجم أن الإمام المفسر(عبد الرحمن ابن أبي حاتم) صاحب التفسير المشهور، دعا الناس لبناء مسجد لله والتبرع لذلك، فرأى وكأن الناس لم يتجاوبوا معه، فقال من يتبرع لبناء مسجد والرسول قد رغبكم فقال: ((مَنْ بنى مَسْجِدًا للهِ كَمَفْحَصِ قطاةٍ أَوْ أَصْغَرَ بنا اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، قصرا في الجنة)) فأتى إليه رجل صاحب مال وقال يا إمام أنا أتبرع بمبلغ كبير ولكن أتضمن لي بيتاً في الجنة، فتوقف الإمام وخاف أن يجيب، فعاود التاجر وقال: إن كنت تضمن لي بيتاً فاكتب لي كتاباً تشهد لي فيه أن لي بيتا في الجنة وتوقع عليها وأنا أتكفل ببناء المسجد. فقال الإمام: توكلت على الله ثم دعا بورقة وكتب فيها

((هذا ما شهد به عبد الرحمن بن أبي حاتم لفلان ابن فلان أنه يضمن على الله ثقة بالله وحسن ظن بالله أن هذا إن بنى مسجداً لله بنى الله له بيتاً في الجنة)) ووقع عليها ووقع الحضور عليها، فلما توفي وحضر الناس جنازته طارت من كفنه رقعة فإذا هي التي كانت كتبها له ابن أبي حاتم وإذا في ظهرها مكتوب: قد أمضينا لك هذا الضمان، وقيل أنه رأى رؤية ومناد ينادي إن الله قد أمضى ورقتك ولكل من وقع عليها وبشرِّ الرجل ببيت في الجنة.

بناء مسجد أو المساهمة في بناء مسجد هو من الصدقة الجارية والتي يصلك ثوابها وأنت بقبرك فقد جاء عن أنس بن مالك مرفوعا للنبي صلى الله عليه وسلم : ((سَبْعٌ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ، وهُو فِي قَبْرِهِ: مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا، أَوْ كَرَى نَهْرًا، أَوْ حَفَرَ بِئْرًا، أَوْ غَرَسَ نَخْلا، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا، أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفًا، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ)).

فيا عبد الله لا تبخل على نفسك ولا تقل أنا لا أملك مالا كثيرا لأدفع واسمع لهذا الحديث الكريم ((مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا الطَّيِّبَ إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ عَزَّ وَجَلَّ بِيَمِينِهِ وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنْ الْجَبَلِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ -مهر الحصان أول ولادته- أَوْ فَصِيلَهُ- ابن الإبل عندما يفصل عن الرضاعة))

وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: ((كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَرَنَا بِالصَّدَقَةِ، انْطَلَقَ أَحَدُنَا إِلَى السُّوقِ، فَيُحَامِلُ (يشتغل بحمل متاع أو نحوه)، فَيُصِيبُ الْمُدّ(أي يأخذ أجار عمله مدا ومن ثم يتصدق به) وَإِنَّ لِبَعْضِهِمُ اليَوْمَ لِمَائَةَ أَلْفٍ)).

أيها الإخوة يوجد أناس لنا تحت التراب ضاقت عليهم الأرض يوم رحلوا إلى الله، واليوم بصدقتنا عنهم سيتحول الضيق إلى سعة والنار إلى جنة وسترتفع درجاتهم عند الله تعالى وسينور الله ذلك اللحد بنور الصدقة

كلنا يقول عن ممتلكاته مالي ورزقي، وأنا أذكركم بحديث رَسُول اللهِ صلى الله عليه وسلم: ((يَقُولُ ابْنُ آدَمَ مَالِي مَالِي وَهَلْ لَكَ مِنْ مَالِكَ إِلاَّ مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ)).

والله إن في القبور بكاء وعويلاً وأنيناً لأصحاب مال لربما كانوا بيننا ولربما نعرف بعضهم، كانوا كلما قيل لهم تصدقوا يقولون غدا نتصدق، فرحلوا وتركوا المال للورثة، ولو تصدق الورثة بما تركه لهم الموتى لكان

الأجر للورثة مع أن المال مال الميت، ووالله هذا أعظم ظلم للنفس، المال في يدك أمانة وأنت مستخلف عليه، قال تعالى: {آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ}[الحديد: 7]، وقال:{وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ }[النور: 33].

وأول أمنية للميت أو من حضره الموت وعاين الملائكة: {وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }[المنافقون: 10-11].

وكن على يقين أنه يوجد في الكون من يزن لك الحبة ويعطيك ثمنها، أما الله تعالى فهو الذي يقول: {يَابُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ}[لقمان: 16].

والحمد لله رب العالمين